



من المؤسف أنّ معنى الزواج عندنا لم يتخذ مفهومه الحقيقي بصفة عامة عند المثقفات وبصفة أعم عند غير المثقفات. المرأة تنظر إلى الزوج وكأنه صفة رابحة تذلل لها المصاعب وتمنحها أدواتاً من المرفاه والإمكانات بدون أن تقدم أي مقابل.

وكذلك الزوج أو العريس في نظر الفتاة وأهلها هو ذلك الشمعة التي يجب أن تحرق نفسها لتضيء حياة العروس وأهلها وتملأ حياتها بالخير والبركات.

ولكن ما هو المقابل الذي ينبغي أن تقدمه الزوجة حتى يحق لها أن تطالب بمالي زوجها وأيامه ومستقبليه؟ المرأة الماوية فقط تعرف هذا بغض النظر عن كونها مثقفة تحمل الشهادات العليا أو أمية لا تعرف حرفًا من لغة القلم. المرأة الناضجة الماوية التي تتجلب بالإخلاص والمعدل والمضمير الحي تعرف المجوab ... وهو جواب واضح وواقعي ... وهو أن تقابل إخلاص زوجها بالمثل، وأيضاً عدله معها وتتفانيه في إسعادها ... يجب أن تقابلها بالمثل وذلك بمنحه السعادة والراحة وتخفيض أعباء الحياة عن كاهله، ولو علمتنا أن المرأة الأجنبية تجعل هدفها من الزواج هو إسعاد زوجها. ويزيد في سعادتها تكريس وقتها لخدمة زوجها والعمل على راحتته لتعجبنا من هذا ولما صدقنا لأننا مستغرقات في مساوى عاداتنا التي تبدأ بطلب المهر الكبير واشتراط المهدايا والمتکاليف الباهظة الثمن للعرس ونتهي ببغض أمه وأبيه ومضايقتهما، والتفریق بينهما وبين ابنهما الذي هو زوجها. لو دققت الزوجة المنظر إلى هذا العمل لرأيت فيه لما شئت جريمة بشعة. إن مجتمعنا في كل بلداننا العربية ممتنع بأمثال هذه المأسى وأن قصة الحمامة والكنة هي أم المقصص ومشكلة المشاكل. فهما دائمًا في عراك ومشاحنات وعداء مستحكم يحيل بيت الزوجية إلى جحيم، وزرى الزوج بينهما حائرًا عيسىً لا يدرى أينتصر لزوجته التي هي كل ماضيه المفعم بالتضحيات لأجله، وتمضي حياة الزوج بهذا الشكل مثقلة بالمتاعب والآلام في أغلب الأحيان، وتظل الزوجة عمياً عن هذه الحقيقة غير مشفقة على زوجها ولها على أمه، غير مقدرة تضحيات والدة زوجها التي ربته صغيراً إلى حين بلغ الشباب ووجده العروس أمامها شاباً مكتملًا في كل المميزات التي أعجبتها. ولو علمت الزوجة أن كرهها لوالدة الزوج أو والده أو بقية أهله يبعد قلبه عنها إلى مسافة لا تستطيع بعدها استعادة ذلك القلب. ولو علمت أيضًا أن العكس يأتي بالنتيجة العكسية بدون شك، فأقلعت عن كل ما تفعله ضد أهل الزوج ولأحبت أهل زوجها كما تحب أهلها وأكرمنهم.

وعلى هذا الأساس ذرى المرأة في الشعوب الراقية المتحضرة تؤمن بحقيقة كبيرة وتعمل بها بالإخلاص وهي محبة أهل زوجها جميعاً واحترامهم وخدمتهم قدر المستطاع وربما المتضحية من أجلهم إذا اقتضى الأمر ذلك. لأنها تعرف دائير هذا على شعور زوجها الذي سينعكس في نفسه حباً لها وتضحيةً من أجلها وكذلك هي تفعل هذا الشيء لأنها عاقلة واعية فهمت الحياة وأدركت أن أبيوي زوجها يجب أن لا يجدد فضلهما عليه وأنهما بالنسبة له كأبويها بالنسبة لها وكما ستكون هي بالنسبة لأولادها عندما يشبعون ويتزوجون.

فهل من الصعب علينا فهم هذه الحقيقة إلى هذا الحد؟
وهل من الصعب أن تدرك أن عرفة جميل هو أجمل ما في الحياة وأنه يتمثل في الموقف للأبوبين سواء من الماين أو زوجة الماين؟
وهل من الصعب أن تعرف نساؤنا أن أقرب طريق إلى قلب الزوج هو محبتها لأهله؟